

مُغامَرَة الشّاطِر حَسَن

في البحر

كتابة: جنان حشّاش
رسم: نغمة صالحي



مُغامَرَة الشّاطِر حَسَن
في البحر



حكاية من التّراث الشّعبيّ
أعادت كتابتها المؤلِّفة جنان حشّاش
رسم: نغمة صالحي



كان يا ما كان، في سالفِ العَصْرِ وَالأزْمان، شابٌّ يُدْعى الشَّاطِرُ حَسَن. كانَ الشّاطِرُ حَسَن فَقيرًا وَلَكِنَّهُ كانَ شُجاعًا يُحِبُّ عَمَلَ الخَيْر، وَيُحِبُّ أن يُساعِدَ الآخَرين، وكانَ يَعيشُ مَعَ أُمِّهِ في بَيْتٍ صَغيرٍ مُتَواضِع.

في أَحَدِ الأَيّام، قَرَّرَ الشّاطِرُ حَسَن أَنْ يُسافِرَ إلى بِلادٍ بَعيدَةٍ عَلَّهُ يَجِدُ عَملًا وَيَرْتَزِق.

وَدَّعَ أُمَّهُ وَرَكِبَ السَّفينَةَ مَعَ تُجّارٍ وَبَحّارَةٍ آخَرين. أبْحَرَتِ السَّفينَةُ مُتَّجِهَةً نَحْوَ بِلادِ السِّنْدِ وَالهِنْد. مَرَّتْ أَيّامٌ عَديدةٌ وَهُمْ في البَحْر، وَالكُلُّ يَتَمَنّى لِنَفْسَهُ رِزْقًا وَفيرًا وَمالًا كَثيرًا بعد تِلْكَ الرِّحْلَةِ.



في صَباحِ أَحَدِ الأيّام، لاحَظَ الشّاطِرُ حَسَن حَرَكَةً غَريبَةً على سَطْحِ السَّفينَة. كانَ البَحّارَةُ يُنادونَ بَعْضَهُمْ وَيَرْكُضونَ في الاتِّجاهاتِ كُلِّها، وَعَلاماتُ الخَوْفِ تَبْدو على وُجوهِهِم. ثُمَّ أَسْرَعوا يَشُدّونَ حِبالَ الأَشْرِعَةِ بِكُلِّ قِواهُم. أمّا الرُّبّانُ فَقَدْ كانَ يُحاوِلُ أن يُديرَ دَفَّةَ السَّفينَةِ إلى الجِهَةِ اليُسْرى بِكُلِّ ما أوتِيَ مِنْ قُوَّة، بَيْنَما راحَ التُّجّارُ يُشيرونَ بِأَيْديهِمْ إلى نُقْطَةٍ مُعَيَّنَةٍ في البَحْر، وَيَتَهامَسونَ بِقَلَق. اقْتَرَبَ الشّاطِرُ حَسَن مِنْهُمْ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الخَبَرِ فَعَرَفَ أَنَّ المَوْجَ يَدْفَعُ بِالسَّفينَةِ نَحْوَ قَلْعَةٍ قَديمَةٍ قائِمَةٍ على صَخْرَةٍ كَبيرَة، وَهُمْ يَخْشَوْنَ أَنْ تَتَحَطَّمَ السَّفينَةُ على الصُّخورِ المُحيطَةِ بِها، أو أَنْ يَعْلَقوا في داخِلِها. رَكَضَ الشّاطِرُ حَسَن وَراحَ يُساعِدُهُمْ في شَدِّ حِبالِ الأَشْرِعَة. وما هي إلّا لَحَظاتٌ قَليلَة، حَتّى دَفَعَتْ مَوْجَةٌ قَوِيَّةٌ السَّفينَةَ نَحْوَ القَلْعَة، فَانْفَتَحَتْ بَوّابَتُها بِسُرْعَةٍ عَجيبَة، ثُمَّ انْغَلَقَتْ بِالسُّرْعَةِ نَفْسِها، وَعَلِقَتِ السَّفينَةُ في الدّاخِل.



خَرَجَ الجَميعُ مُحاولينَ أَنْ يَفْتَحوا البَوّابَةَ وَلَكِنْ مِنْ دونِ جَدْوى. بعد ذلك، تَوَجَّهوا نَحْوَ سَطْحِ القَلْعَةِ وَجَلَسوا يَتَباحَثونَ في طَريقَةٍ تُمَكِّنُهُمْ مِنَ الخُروجِ والنَّجاة. لَمْ يَتَوَصَّلوا إلى أَيِّ نَتيجة، فَالقَلْعَةُ كانَتْ عالِيَةً وَالصُّخورُ الحادَّةُ تُحيطُ بِها مِنْ كُلِّ الجِهات. لَمْ يَكُنْ هُناكَ مَنْفَذٌ سِوى البَوّابَةِ المُغْلَقَة. شَعَرَ الجَميعُ بِاليَأْسِ وَخَيَّمَ الصَّمْتُ وَالحُزْنُ عَلَيْهِم.

مَرَّتْ أَيّامٌ وَأَيّام، وَهُمْ عَلى هذه الحال، إلى أَنْ حَدَثَ شَيْءٌ غَريب.

كانَ الشّاطِرُ حَسَن مُسْتَلْقِيًا عَلى السَّطح، فَحَطَّتْ قُرْبَهُ حَمامَتانِ وَراحَتا، وَيالَلعَجَب، تَتَحَدَّثانِ بِكَلامٍ مَفْهوم! قالَتِ الحَمامَةُ الأولى: «أُنْظُري إلى ما حَلَّ بِهَؤلاءِ المَساكين! سَيَموتونَ مِنْ دونِ شَكٍّ في هَذِهِ القَلْعَة». أجابَتِ الحَمامَةُ الثّانِيَة: «هُناكَ طَريقَةٌ يَسْتَطيعونَ بِواسِطَتِها الخُروجَ والنَّجاة».

أَنْصَتَ الشّاطِرُ حَسَن لِيَسْمَعَ ما سَتَقولُهُ الحَمامَة، فَأَضافَت: «هُناكَ عُلْبَةٌ خَلْفَ بابِ السَّطحِ في داخِلِها ثَلاثَةُ أَحْجارٍ سِحْرِيَّة، عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْموها عَلى قِفْلِ البَوّابَةِ ويُصيبوه، فَتُفْتَحُ البَوّابَة، أمّا إذا أَخْطأوهُ فَسَتَبْقى مُقْفَلَةً وَسَيَبْقَوْنَ عالِقينَ هُنا إلى الأَبَد».



بَعْدَ أَنْ طارَتِ الحَمامَتان، أَسْرَعَ الشّاطِرُ حَسَن يَبْحَثُ عن العُلْبَةِ فَوَجَدَها وَوَجَدَ في داخِلِها الحِجارَةَ فَأَخَذَها وَأَخْبَرَ رِفاقَهُ بِالأَمْر. رَكِبَ الجَميعُ السَّفينَةَ وَالأَمَلُ يَمْلَأُ نُفوسَهُمْ مِنْ جَديد. رَمى الرُّبّانُ الحَجَرَ الأَوَّل، لَمْ يُصِبِ القِفْل، أَخَذَ الحَجَرَ الثّاني وَحاوَلَ مَرَّةً أُخْرى، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْجَحْ أَيْضًا. هُنا، طَلَبَ الشّاطِرُ حَسَن مِنَ الرُّبّانِ أَنْ يَرْمِيَ الحَجَرَ الأَخيرَ بِنَفْسِهِ عَلَّهُ يُصيبُ القِفْلَ وَيُنْقِذُهُم. وافَقَ الرُّبّانُ عَلى طَلَبِه، فَوَقَفَ عَلى صَخْرَةٍ خارِجَ السَّفينَة، صَوَّبَ جَيّدًا وَرَمى الحَجَر، فَأَصابَ القِفْلَ وَانْفَتَحَتِ البَوّابَةُ وَانْدَفَعَتِ السَّفينَةُ إلى الخارِج، وَلَمْ يَتَمَكَّنِ الشّاطِرُ حَسَن مِنَ الرُّكوبِ فيها لِأَنَّ البَوّابَةَ انْغَلَقَتْ من جَديدٍ وَبِالسُّرْعَةِ العَجيبَةِ ذاتِها.



صَعِدَ الشّاطِرُ حَسَن الدَّرَجَ المُؤَدِّيَ إلى سَطْحِ القَلْعَةِ وَناداهُمْ لِيَتَوَقَّفوا، لَكِنَّ السَّفينَةَ أَصْبَحَتْ بَعيدَةً وَلَمْ يَعُدْ بِإِمْكانِهِ اللَّحاقَ بِهِم، وَعَلِقَ مِنْ جَديدٍ في القَلْعَة، وَلَكِن بِمُفْرَدِهِ هذه المَرَّةَ وَمِنْ دون أَيِّ أَمَلٍ في الخَلاصِ مِنْ هذا المَكان، وَأدْرَكَ أَنَّهُ لَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ الخُروجِ أَبَدًا.

بَقِيَ الشّاطِرُ حَسَن عَلى هذه الحالِ أيّامًا عَديدَة، ثُمَّ راحَ يَدورُ في أرْجاءِ القَلْعَةِ وَيَبْحَث، يُفَكِّرُ وَيُفَكِّرُ في طَريقَةٍ ما يُنْقِذُ بِها نَفْسَه. لاحَظَ أَنَّ هُناكَ نَسْرًا كَبيرًا يَبيتُ كُلَّ لَيْلَةٍ في عُشِّهِ عَلى سَطْحِ القَلْعَة، يَطيرُ في الصَّباحِ وَيعودُ في المَساءِ لِينَام. هُنا، خَطَرَتْ في بالِ الشّاطِرِ حسن فِكْرَة. عِنْدَما نامَ النَّسْر، اقْتَرَبَ مِنْهُ وَرَبَطَ نَفْسَهُ بِقائِمَتِه.



فِي صَباحِ اليَوْمِ التّالي، طارَ النَّسْرُ كَعادَتِهِ وَطارَ الشّاطِرُ حَسَن مَعَه، حَلَّقَ النَّسْرُ عَالِيًا في السَّماءِ وَطارَ لِمَسافاتٍ بَعيدَة، فَوْقَ البَحْرِ وَفَوْقَ اليابِسَة، ثُمَّ بَدَأَ يَهْبِط، وَما إنْ أَصْبَحَ قَريبًا مِنَ الأرْض، حَتّى تَناوَلَ الشّاطِرُ حَسَن سِكّينَهُ وَقَطَعَ الحَبْلَ فَوَقَعَ وَسَطَ سَهْلٍ واسِعٍ أَخْضَر.

وَما هِيَ إلّا لَحَظاتٌ حَتّى رَأى نَفْسَهُ مُحاطًا بِمَجْموعَةٍ مِنَ المُزارِعينَ الّذينَ اسْتَغْرَبوا سُقوطَ شابٍّ مِنَ السَّماءِ. أَخْبَرَهُمُ الشّاطِرُ حَسَن قِصَّتَهُ فَاهْتَمّوا بِهِ وَساعَدوهُ، ثُمَّ راحَ يَعْمَلُ مَعَهُمْ في الزِّراعَةِ عَلَّهُ يَجْمَعُ بَعْضَ المالِ. أَحَبَّهُ المُزارِعونَ كَثيرًا، خُصوصًا بَعْدَ أَنْ لَمَسوا مِنْهُ شَجاعَتَهُ وَحُبَّهُ الخَيْرَ. بَعْدَ مُدَّةٍ، سَمِعَهُمْ يَتَهامَسونَ في ما بَيْنَهُمْ وَيَقولونَ: «الشّاطِرُ حَسَن هو خَيْرُ مَنْ يُساعِدُنا في هذا الأَمْرِ».

سَأَلَهُمْ عَنِ المَوْضوعِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ أَنَّ عَلى قِمَّةِ الجَبَلِ المُطِلِّ عَلى السَّهْلِ، كَنْزًا عَظيمًا وَلَكِنَّهُمْ يَخْشَوْنَ تَسَلُّقَ الجَبَلِ بِسَبَبِ ارْتِفاعِهِ. عِنْدَها، قالَ الشّاطِرُ حَسَن إِنَّهُ سَيُحْضِرُ هذا الكَنْزَ عَلى أَنْ يَتَقاسَموهُ في ما بَيْنَهُم. وَافَقَ الجَميعُ وَأَسْرَعَ الشّاطِرُ حَسَن لِيُنَفِّذَ خُطَّةً شَبيهَةً بِتِلْكَ الّتي اتَّبَعَها مِنْ قَبْلُ. رَبَطَ نَفْسَهُ بِقائِمَةِ نَسْرٍ حَطَّ في السَّهْلِ لِيَلْتَقِطَ طَعامَهُ، وَطارَ إِلى عُشِّهِ عَلى قِمَّةِ الجَبَلِ، فَطارَ مَعَهُ وَوَصَلَ إِلى الأَعْلى.



ثُمَّ قَطَعَ الحَبْلَ وَقامَ بِتَخْويفِ النَّسْرِ كَيْ يَطير، وَجَمَعَ الكَنْزَ وَوَضَعَهُ في كيسٍ وَرَماهُ مِنْ أَعْلى الجَبَل. بَعْدَ قَليل، عادَ النَّسْرُ مِنْ جَديدٍ إلى السَّهْل، وَعادَ الشّاطِرُ حَسَن مَعَه. هَنَّأَهُ المُزارِعونَ عَلى شَجاعَتِه، وَقاموا بِتَقْسيمِ الكَنْزِ في ما بَيْنَهُم.





أَخَذَ الشّاطِرُ حَسَن نَصيبَهُ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ المَرْفَأِ لِيَرْكَبَ سَفينَةً وَيَعودَ إلى بَلَدِه. وَيا لَدَهْشَتِهِ العَظيمَة، كانَتِ السَّفينَةُ الَّتي رَكِبَها هي نَفْسُها الّتي أَبحَرَ عَلَيْها في المَرَّةِ الأولى. فَالْتَقى رِفاقَهُ مِنْ جَديدٍ وَهَنَّأوهُ عَلى سَلامَتِه. وَبَعدَ رِحْلَةٍ طَويلَة، وَصَلَ إلى بَلَدِهِ وَأُمِّهِ الّتي يَئِسَتْ مِنْ عَوْدَتِه. أَخْبَرَها بِما حَصَلَ مَعَهُ وَعاشا حَياةً كَريمَةً في مَنْزِلٍ كَبيرٍ بَعْدَ مُغامَرَةٍ عَظيمَةٍ جَمَعَ فيها مالاً وَفيرًا وَأَثْبَتَ فيها شَجاعَتَهُ وَحُبَّهُ مُساعَدَةَ الآخَرين.



وَدَّعَ الشّاطِرُ حَسَن أُمَّهُ بَعْدَما قَرَّرَ أنْ يُسافِرَ عَلَّهُ يَجِدُ عَمَلًا.
رَكِبَ سَفينَةً مَعَ تُجّارٍ وَبَحّارَةٍ آخَرينَ وَأبْحَرَتْ بِهِمْ إلى بِلادٍ بَعيدَة...
لا بَلْ نَحْوَ مُغامَراتٍ يَخوضُها بِكُلِّ شَجاعَةٍ وَإقْدام.



للنشر والتوزيع
ISBN 614-402-734-9
9 786144 027349
Book # A 850